

# الباب الأول

## دراسة المؤلف

### الفصل الأول: عصر المؤلف

أولاً/المبحث الأول: الحالة السياسية.

ثانياً/المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية.

ثالثاً/المبحث الثالث: الحالة الفكرية.

## تمهيد

للعلماء العاملين دور مشهود في الحياة الانسانية . فهم العارفون بدقائق المعارف ،  
والعاملون بها .

وقد خصهم الخالق جل جلاله بالتدبير عن سواهم كما جاء في محكم آيات كتابه المجيد :

اذ ورد :

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) (١)

وزادهم الله - تبارك - من فضله فاعز مكانهم ، وبرز منزلهم . ورفع شأنهم . وفضل  
مدادهم على دماء الشهداء المجاهدين وان نعمة العلم مقترنة بالايمن . وهي النعمة الالهية  
الثانية بعد نعمة الخلق . وينال الانسان بفضل العلم وتوفيق الله ولطفه خير الدارين . وسعادة  
النشأتين .

وقد صرح القران الكريم بهذه الحقيقة الناصعة وهي ان الايمان لا يتم الا بالعلم والمعرفة

فقال جل من قائل :

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (٢)

وحيث يسود العلم . ويوجد العلماء تتلأأ الانوار وتخضر المربع والديار ، وتزدهر

الحضارات وتسعد الامم .

كل ذلك يتم من خلال طلب العلم من مظانه . واقتباسه من اهله على مر العصور ومختلف

الاطوان .

**ولكننا نقف بعد هذه الاشارات الموجزة ونقول :**

ان اقل ما يمكن ان يكرم به الانسان العالم . وادنى ما يوفى له بعد ان اوقف حياته وافناها

في خدمة الدين والامة ان تدرس حياته . او تطبع مؤلفاته ، وينشر علمه . وتكتب سيرته ،

وتسجل مآثره . ويثني عليه . وان يبوأ المكانة التي يستحق وتليق به في حياته او بعد وفاته .

ومن هؤلاء العلماء الصالحين . والأتقياء العاملين ، العالم الشهير ، والعلامة التحرير ،

قاموس اللغة المحدث الفقيه الناقد الاصولي ، والنسابة الكلامي قاضي قضاة عصره الحافظ علاء

الدين مغلطاي (رحمه الله تعالى) .

(١) سورة الزمر ، الآية : ٩ .

(٢) سورة فاطر . الآية ٢٨ .

لابد للعالم العامل ان يظهر صيته ، وتبرز مآثره من خلال عرض صفحاته البيضاء المليئة بالعباء . ولتقتدي به الاجيال بما حبوا به من مآثر غراء ، وشماثل مفعمة بالوفاء .

ولكي لا ينقطع حبل الاتصال بيننا وبين علماء السلف الصالح . ولكي لا تندرس طاقاتهم العلمية الثمينة بلا اعتبار منا . وما تحويه حياتهم بالقيم الرائعة من هنا وهناك من الصفات المهمة النافعة التي ترن اسماع العارفين بفضلهم سواء المخطوطة منها او المطبوع على حد سواء .

ولكي تدوم دروب المستقبل بعلومهم ومعارفهم فلا بد ان تسجل مآثر تلك الكتب باحرف من نور . ووفاء بجميل ما اسداه قاضي القضاة الحافظ علاء الدين مغطاي لامة العربية والاسلامية يتوجب علينا دراسة وتحقيق كتابه الموسوم : (مختصر تاريخ الخلفاء) موضوع دراستنا هذه.

فهكذا شأن ، وهكذا علم من بين اولئك الاعلام ، وهكذا دراسة علمية يغبط عليها من يكتب عنها بما يليق من هذه الخدمات الجلى ذات المثابة والثوبة .

فحياة علاء الدين مغطاي تمتد على جزء كبير من القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) ، ولقد فتح هذا العالم الكبير عينه على الدنيا ورحى حرب وخلافات سياسية وفكرية تدور على ارض البلاد المصرية والشامية.

ومن مظاهر الحالة السياسية لعصر علاء الدين مغطاي حدثاً خطيراً جرى على ارض مصر هو امتداد نفوذ دولة المماليك (البرجية) وبسط سيطرتها على مصر والشام .

ومما نتج عن هذا الوضع المتلبد بالغيوم اشاعة الخوف والرعب في قلوب ابناء الشعبين .

وقد عاصر ( مغطاي ) سيطرة الدولة الايوبية ( البحرية ) على البلاد المصرية والشامية ايضا.

ومن البديهي ان يكون لهذه الصلة الوثيقة بالمصريين المملوكي والايوبي تأثير كبير في تكوين شخصية (علاء الدين مغطاي) وبناء ثقافته وتحديد اتجاهه العلمي .

ولذلك يبدو من الضروري تقديم صورة وافية عن ( عصر مغطاي ) من النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية قبل التهيؤ للخوض في غمار تفاصيل ( حياته ) لصعوبة تفسير بعض التفاصيل مجردة عن وقائع العصر واحداثه .

واذا كان - من البديهي - لنا ان نعتبر العالم - ايا كان - ابن عصره وبيئته ، فان القيام بهذه المهمة يصبح فرضا واجبا ومسلكا لا محيد عنه ، لذا سنبدأ بدراسة النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية لعصر ( مغطاي ) على التوالي .

## الفصل الأول: عصر المؤلف

### أولاً: المبحث الأول: الحالة السياسية :

شهدت البلاد المصرية والشامية في سنة (ثمان وأربعين وست مئة) نهاية الدولة الايوبية بموت آخر ملوكها وهو الملك الصالح نجم الدين ايوب، وسيطرت زوجته ((شجرة الدر)) على مقاليد الامور والحكم بالبلاد اياما قليلة. كما شهدت قيام دولة جديدة على اعقاب الدولة الايوبية، عرفت في التاريخ باسم : دولة المماليك البحرية، وقد انشطرت هذه الدولة الى ما يسمى بدولة المماليك البحرية ودولة المماليك البرجية.<sup>(١)</sup>

امتد نفوذ دولة المماليك البحرية منذ سيطرتها على البلاد المصرية والشامية من سنة (ثمان وأربعين وست مئة). وهؤلاء هم المماليك الذين اسكنهم الملك الصالح نجم الدين الايوبي بجزيرة الروضة في قلعة مصر التي سميت بقلعة البحر ، وقلعة الجزيرة التي انشاها نجم الدين ايوب في سنة (ثمان وثلاثين وست مئة). وعرفوا فيما بعد بالبحرية.<sup>(٢)</sup>

اما دولة المماليك البرجية فقد امتد نفوذها وسيطرتها على البلاد المصرية والشامية من سنة (ثمان وأربعين وسبع مئة) الى سنة (ثلاث وعشرين وتسع مئة). وهؤلاء هم المماليك الذين افردهم الملك المنصور قلاوون بالقلعة . وكلهم من الجراكسة . وسامح المؤرخون (البرجية) نسبة الى ابراج القلعة<sup>(٣)</sup> اتسم حكم المماليك البحرية والسيطرة على ادارة البلاد المصرية والشامية بكثرة الفتن

(١)الدكتور علي ابراهيم حسن. دراسات في تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الاولى. د.ت. ص. ٥٠.

الدكتور محمود رزق سليم . عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي . مطبعة التوصل . مصر . ج. ١. ١٣٦٦هـ-١٩٤٧ م . ص. ٢٥.

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام . سلسلة الف كتاب ، مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ، ١٩٥٩ م . ص. ٩٨.

(٢)المقريزي . تقي الدين ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف (بالخطط المقريزية) . بيروت. دار صادر ، ج. ٢. ص. ١٨٣.

ابن تغري بردي الاتابكي . ابو المحاسن جمال الدين يوسف الاتابكي (ت ٨٧٤هـ) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . ج. ٦. مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة. ١٣٩٩هـ-١٩٧٩ م . ص. ٣٧١.

(٣)ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . ج. ٧. ص. ٣٣٠.

والاضطرابات . وعدم الاستقرار . والتناحر بين السلاطين والاسراء على مناصب الدولة المهمة والرئيسية . واشاعة الخوف والرعب في قلوب ابناء الشعب لكثرة مايحيط بهم من هذه الاضطرابات والصراعات السياسية . على ان حقبة زمنية محددة من هذه السيطرة امتازت بالهدوء والاستقرار والامان الذي عم البلاد . الا وهي المدة الثانية والثالثة من حكم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون . والتي دامت سنة كاملة ابتدأت سنة ٧٤٨ هـ حتى نهاية ٧٤٩ هـ<sup>(١)</sup> ، ففي ولايته هدأت الاوضاع وعادت هيبة السلطة . وبسطت الدولة نفوذها على جميع مرافق الحياة . واستطاع النظام الاداري للسلطة ان يكون على جانب عظيم من الدقة والتنسيق .

ونظمت ايضا دواوين الحكومة ، ومواردها . فنعمت الدولة بالاستقرار والهدوء<sup>(٢)</sup> بفضل شخصية هذا الملك الذي وصفه جمال الدين بن تغري بردي بقوله : ( وكان ملكاً عظيماً محظوظاً ، مطاعاً مهيباً ، ذا بطش ودهاء . وحزم شديد . وكيد مديد ، قلما حاول اسر فانحزم عليه فيه شيء يحاوله . الا انه كان ياخذ نفسه بالحزم البعيد والاحتياط )<sup>(٣)</sup> .

ولاغرابة اذن ان ( يمثل ذلك العصر بالذات اعظم عصور التاريخ المصري زمن الماليك واكثرها ازدهارا . ذلك ان نفوذ الناصر امتد من المغرب غرباً حتى الشام والحجاز شرقاً وبلاد النوبة جنوباً حتى آسيا الصغرى شمالاً )<sup>(٤)</sup> .

(١) الدكتور جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر . الحالة السياسية والاقتصادية ، مطبعة الاعتماد مصر . ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م . ص ٦٣ .

الدكتور علي ابراهيم حسن : دراسات في تاريخ الماليك البحرية . مكتبة النهضة المصرية . ط ١٩٧٢ م . ص ٩٢ .

(٢) محمود رزق سليم : عصر سلاطين الماليك ونتاجه العلمي والادبي . ج ١ ، ص ٢٧ .

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الظاهر بيبرس ، القاهرة . سلسلة اعلام العرب ، رقم (١٤) ، ص ١٣٠ .

ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . ج ٦ ، ص ٢١٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٢٢٠ .

(٤) الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر والشام في عصر الايوبيين والماليك . دار النهضة الحديثة . ١٩٧٢ م . ص ٢١٤ .

جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر ، ص ٦٥ .

واما في الداخل فقد كان عهده عهد رخاء واستقرار حيث قضى عهده الطويل في الاصلاح والانشاء والتعمير . الامر الذي جعل المؤرخين والرحالة المعاصرين يشيدون بسيرته وفضله وازدهار حكمه<sup>(١)</sup>. غير ان هذا الهدوء والاستقرار السياسي سرعان ما افتقد بعد وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة (احدى واربعين وسبع مئة). فقد دخلت الدولة في طور جديد من نظم الحكم<sup>(٢)</sup> لكثرة من تعاقب من السلاطين على حكم البلاد في حقب متلاحقة وفي سن لاتمكنهم من النهوض باعباء الحكم . وغالبا ماينتهي هذا الصراع بخلع السلطان القائم او قتله . واستمر هذا الصراع قائما الى ان انتهى بالقضاء على عرش سلاطين المماليك<sup>(٣)</sup> يلاحظ من هذا العرض السريع للحياة السياسية السائدة في البلاد المصرية والشامية ، ان علاء الدين مغلطي بن قلنج قد عاش الجانب الاكبر من حياته في ظل دولة المماليك البحرية ، واتسم هذا الجانب بالاستقرار والاطمئنان ولاسيما في ايام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الذي تولى الحكم ثلاث مرات . ثم اكمل مغلطي ما بقي من حياته في ظل دولة المماليك البرجية التي سيطرت على مقاليد الحكم سنة (ثمان واربعين وسبع مئة) . واتسم حكمها بالصراع السياسي : والتناحر بين الامراء والسلاطين من ابناء الملك الناصر محمد بن قلاوون طيلة مدة حكمها.<sup>(٤)</sup>

(١)الدكتور علي ابراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحرية ، ص٩٥.

(٢)المصدر نفسه ، ص٩٦.

(٣) الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك . ص١٠٢.

(٤)الدكتور علي ابراهيم حسن. دراسات في تاريخ المماليك البحرية ، ص٩٥.

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ، ج١، ص٢٧.

## المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية

حتى نصل الى تصوير دقيق للحالة الاجتماعية في مصر في العصر المالكي لا بد لنا ان نتحدث عن عناصر المجتمع وفئاته .

### عناصر المجتمع وفئاته :

كان سكان مصر في عصر الماليك خليطاً من الطبقات الاجتماعية ، وان مثل هذا الحال - امر طبيعي - ان يؤدي الى التفاوت الطبقي وان تبرز الطبقة بشكل واضح في السكان .

لذا قسّم تقي الدين المقرئزي<sup>(١)</sup> (ت ٨٤٥ هـ) المجتمع المصري في عصر الماليك الى سبعة

اقسام :

**القسم الاول :** اهل الدولة . وهم (الماليك ) وتشمل الامير والسلطان والحاكم واسرته من البيت المالكي والمترفين الذين لا يساؤون احداً بانفسهم ، فهؤلاء يكوّنون طبقة لها ميزاتهما وملامحها ، فضلا عن ان المقرئزي الحق بهذا القسم موظفي الحكومة وابناء الماليك والطبقة العليا (السلطين والملوك والامراء) وغيرهم من الذين ابتسم لهم الحظ فأثروا بطريقة واخرى .<sup>(٢)</sup>

**القسم الثاني :** اهل اليسار من التجار وأولي النعمة من ذوي الرفاهية.<sup>(٣)</sup>

والقسم الثالث: الباعة ، وهم متوسطو الحال من التجار ، ويقال لهم اصحاب البر . ويلحق بهم اصحاب المعاش . وهم السوقة.<sup>(٤)</sup>

**والقسم الرابع :** اهل الفلح . وهم اهل الزراعات والحرث وسكان القرى والريف.<sup>(٥)</sup>

**القسم الخامس :** الفقراء . وهم جل الفقهاء وطلاب العلم ، والكثير من اجناد الحلقة ونحوهم.<sup>(٦)</sup>

**والقسم السادس :** ارباب الصنائع والمهن .<sup>(٧)</sup>

**والقسم السابع :** ذوو الحاجة والمسكنة . وهم السؤال الذين يتكفون الناس ويعيشون منهم.<sup>(٨)</sup>

(١) المقرئزي . ابو العباس تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ) . اغائة الامة بكشف الغمة . نشره مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال . القاهرة . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٠ . ص ١٨٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٠ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٨٠ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٨٠ .

(٥) المصدر نفسه ص ١٨٠ .

(٦) المصدر نفسه ص ١٨٠ .

(٧) المصدر نفسه ص ١٨٠ .

(٨) المصدر نفسه ص ١٨٠ .

ولئن بدا من الغريب ان يجعل المريزي كلاً من الفقهاء وطلاب العلم في الطبقة الخامسة من التنظيم الطبقي الاجتماعي للعصر المملوكي، لكان هذا في واقعة امر طبيعي في دولة يقوم نظامها على العسكرية، والاعداد للقتال. والاهتمام بالفروسية وتقديم ذلك على العلم والكتاب.<sup>(١)</sup> واذا كانت الطبقة الاولى من المجتمع المصري -على وفق تقسيم المريزي- تضم المماليك من السلاطين والامراء. كما تضم الوزراء والكتّاب والقضاة من اهل البلاد. ممن استعان بهم المماليك في تسيير دفة امور الدولة. فان كل واحدة من هاتين الطائفتين كانت تعرف حدودها ولا تتعداها. فلم يكن هؤلاء الوزراء والكتّاب والقضاة من اهل البلاد يتطلعون الى تولى السلطة والامرة بدلا من المماليك.<sup>(٢)</sup> لقد عاش السلاطين والامراء والمماليك في عزلة تامة. وطبقة منفصلة عن سائر سكان البلاد. فلم يختلطوا بابناء الشعب. ولم يتزوجوا منهم كما لا يسمحون لاحد بان يحدثهم في شأن الزواج من بناتهم<sup>(٣)</sup>، فحدثت هذه العزلة والتنكر للمجتمع فجوة واسعة بين الحكام والمحكومين من ابناء الشعب، تعرض الشعب فيها لانواع شتى من الذل والامتهان لاسيما الطبقات السحيقة من المجتمع البعيدة عن السلطة والسلطان، فلم تحظ بعطف المماليك الاقلية من ذوي الجاه واليسار والمقربين من السلطة. في حين ظلت غالبية الشعب محرومة من ذلك.<sup>(٤)</sup>

ونتيجة للفارق الكبير بين طبقات المجتمع في العصر المملوكي وعدم وجود توازن في الحياة الاجتماعية. استأثر كثير من السلاطين والامراء بالاموال حتى بلغوا الثراء المفرط. وخير دليل على ذلك ما ذكره المؤرخ جمال الدين ابن تغري بردي عن نكبة الامير سلال السائب فيقول<sup>(٥)</sup>: (...واما سلال فانه لما حضر بين يدي الملك الناصر عاتبه عتاباً كثيراً وطلب منه الاموال. وامر الامير سنجر الجادلي ان ينزل معه ويتسلم منه ما يعطيه من الاموال. فنزل معه الى داره. ففتح سلال جرباً تحت الارض. فاخرج منه سبائك ذهب وفضة وجرب من الاديم الصافي، في كل جراب عشرة الاف دينار، فحملوا من ذلك الجرب اكثر من حمل خمسين بغلا من الذهب والفضة) وهذه الاموال لاتمثل كامل ثروة الامير سلال. فقد احتفظ الامير لنفسه باموال اخرى ذكرها ابن تغري بردي بقوله: (واما ما خلفه الامير سلال من الاموال فقد ذكر منه شيئا). ونذكر منه ايضا ما نقله المؤرخون، قال الجزري<sup>(٦)</sup>: (ووجد لسلال ثمانمائة الف الف دينار. وذلك غير الجواهر والحلي والخيل والسلاح).

- (١) الدكتور محمد زغلول سلام: الادب في العصر المملوكي. ج. ١. مطابع دار المعارف. مصر. ١٩٧١م، ص ٤٧.  
 (٢) النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري المصري (ت ٧٢٩هـ). نهاية الارب في فنون الادب، مطابع دار المعارف. الطبعة الاولى. بيروت. دار العلم للملايين. د.ت. ص ١٦.  
 (٣) المريزي. اغاثة الامة بكشف الغمة. ص ١٨١.  
 (٤) الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك. ص ١٥٧.  
 (٥) ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ج ٩. ص ١٧.  
 (٦) الجزري. ابو الخير محمد بن محمد الدمشقي (ت ٨٨٣هـ). غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة الخانجي. ١٩٣٢. ص ١٦٠.

وبدثل هذا الثراء المفرط كان الفقر المدقع الذي يخيم على الطبقات الفقيرة من المجتمع ولاسيما طبقة الفلاحين الذين ليس لهم من جهودهم وتعبيهم الا خدمة اصحاب الاقطاع من الامراء وغيرهم . والعيش في فقر وعوز دائمين نتيجة ثقل الضرائب المفروضة عليهم<sup>(١)</sup> .  
وامراً طبيعياً كانت هذه الطبقة الفقيرة معرضة للاوباء وظلم الطبقات العليا ، فضلا عن وقوع كواهل هذه الطبقة يشكل عبئاً لمقاومة الظلم والاستبداد وتقويم الانحراف والاعوجاج بما تملك من وسائل وقدرات<sup>(٢)</sup> .

(١) ابن تنري بريدي . النجوم الزاهرة في ملوك مصر . القاهرة ، ج ٩ ، ص ١٧ .

(٢) الدكتور علي ابراهيم حسن : دراسات في تاريخ المماليك البحرية ، ص ٣٢٩ .

## المبحث الثالث : الحالة الفكرية

ازدهرت العلوم والآداب والمعارف كافة في العصر المملوكي ، حيث ساعد على هذا الازدهار تنافس الملوك والسلاطين والأمراء في نشر العلم وبناء المدارس ، والمعاهد ودور القرآن ، وعملوا على تشجيع العلماء والفقهاء والمدرسين ، وسارعوا إلى اقتناء الكتب وتأسيس المكتبات ، وقد أسهم الخلفاء والملوك بقسط وافر في رعاية هذه الحركة العلمية رعاية مطلقة ، فاجزلوا العطاء للمؤلفين والكتاب والعلماء . وبالغوا في الانفاق على الطلاب وتيسير سبل الدراسة لهم . وانشؤوا في دورهم المكتبات الخاصة بهم التي حوت نفائس الكتب في مختلف فنون المعرفة.<sup>(١)</sup>

وقد استمر هذا النشاط الثقافي واضحاً طيلة حكم المماليك ، إذ تضافرت مجموعة من العوامل ساعدت على استمراريته وازدهاره نجمها بما يأتي :

١. هجر كثير من علماء بغداد وغيرها إلى البلاد المصرية بسبب الغزو المغولي المدمر سنة (ست وخمسين وست مئة) وزوال الخلافة العربية العباسية ، فقد هاجر الكثير من علمائها وعلماء بقية المدن العراقية إلى البلاد المصرية والشامية . للاقامة فيها<sup>(٢)</sup> .

وكذلك هجرة علماء الأندلس التي ساد فيها التخادم والتنازع . وقيام الفتن والاضطرابات ، فانتقل عدد كبير من علمائها إلى مصر خوفاً على حياتهم ، وأسهموا في نشر العلم والمعرفة . وبناء الحضارة العربية الإسلامية .

٢. انتقال القيادة العربية الإسلامية لمصر بعد احتلال بغداد في سنة ست وخمسين وست مئة هجرية : وتمكنت الجيوش المصرية من إيقاف الغزو المغولي في عين جالوت<sup>(٣)</sup> (سنة ٦٥٨ هجرية) . جعلت من مصر قلعةً حصينة لرد الغزاة من الصليبيين والمغول ، فتحوّلت بذلك البلاد المصرية إلى مركز مهم من المراكز الثقافية العربية الإسلامية.<sup>(٤)</sup>

(١) أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي . ط ١ . مطابع دار العلم للملايين - بيروت . لبنان . ص ٤٠١ .  
الدكتور عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر في العصور الأيوبية والمملوكية الأولى ، الطبعة الثامنة . دار الفكر العربي . ١٩٦٨ م . ص ١٤٩ .

الدكتور عبد اللطيف حمزة : الأدب المصري في قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية ، سلسلة الف كتاب . مطابع دار القلم (د.ت) . ص ٢٢ .

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك . ص ١٨٦ .

(٢) ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . ج ٩ . ص ٢٠ .

(٣) عين جالوت : اسم اعجمي لا ينصرف ، وهي بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين كان الروم قد استولوا عليها مدةً . ثم استنقذها منهم صلاح الدين الملك الناصر يوسف بن أيوب في سنة ٥٧٩ هـ .  
ياقوت : أبو عبد الله ، شهاب الدين ، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) : معجم البلدان . ج ٦ . دار أحياء التراث العربي . لبنان . بيروت ، دون تاريخ . ص ١٧٧ .

(٤) ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . ج ٩ . ص ٢٠ .

٣. تشجيع المالك للعلم والعلماء وقيامهم ببناء المدارس والتكيا ودور القرآن . والانفاق عليهم ، ووقف الاوقاف الكثيرة من اجلها . اقتداء بما سبقهم من الخلفاء والملوك . ولرغبتهم في اظهار مودتهم لابناء الشعب . ومحبتهم لهم وللتفاخر فيما بينهم . من خلال عنايتهم بالدين الاسلامي الحنيف وكانت للممالك عناية خاصة بالمدارس لاتقل اهمية عن عنايتهم بالمساجد . فكثرت في عصرهم المدارس . وتعددت في ارجاء البلاد المصرية . ويكفينا شاهداً على ذلك ماقاله ابن بطوطة: <sup>(١)</sup> (واما المدارس بمصر فلايحيط أحد بحصرها لكثرتها).

وكان من اشهر هذه المدارس : المدرسة الظاهرية التي انشأها الملك الظاهر بيبرس سنة (احدى وستين وست مئة) ، والمدرسة المنصورية التي انشأها الملك المنصور قلاوون سنة (تسع وسبعين وست مئة) ، والمدرسة الناصرية التي انشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة (ثلاث وسبع مئة) ، ومدرسة السلطان وكرام لغته العربية . والاهتمام بنشر دعوته الانسانية النبيلة . وقد رافقت هذه الحركة الثقافية في نصر في ظل حكم الممالك مظاهر متعددة للحياة العلمية السائدة في البلاد تتلخص بما ياتي: <sup>(٢)</sup>

١. كثرة اماكن الدراسة ودور التعليم في البلاد . من حلقات الدرس في المساجد الجوامع الى مدارس قائمة بذاتها . مجهزة بمكتبات عامرة ، من اجل ازدهار الحركة العلمية في البلاد . فقد بلغت المساجد التي شيدها الملك الناصر محمد بن قلاوون وابناؤه وامراؤه- في هذا العصر-ثمانية وعشرين -مسجداً<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن بطوطة . شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي (ت٧٧٩هـ) : رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، دار صادر . ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م . ص٣٧ .

(٢) الدكتور عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والملوكي الاول ، ص١٥٦ .  
الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الظاهر بيبرس . ص١٤٣ .

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ، ص١٩٣ .  
المرجع نفسه : ج١ ، ص١٣٢ .

(٣) المقرئزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار . ج٢ . ص٢٤٦ ، و ج٢ ، ص٤٠٨ .

حين شرع في بنائها سنة (ثمان وخمسين وسبع مئة). وامتدت عناية المالك ايضا الى تزويد هذه المدارس بالمكتبات العامة التي هي الركن الاساسي في بناء الحياة العلمية، فهذا السلطان المنصور قلاوون يزود المدرسة المنصورية بالكثير من كتب<sup>(١)</sup> الحديث، والتفسير، واللغة، والفقهاء، والطب، ودواوين الشعر<sup>(٢)</sup> وكانه سار على نهج الملك الظاهر بيبرس الذي سبقه، فقد الحق بمدرسه الظاهرية البيبرسية خزانة كتب جليلة تشتمل على مجموعة من الكتب في مختلف العلوم<sup>(٣)</sup>.

وقد اسهم المحسنون والاغنياء من محبي العلم والمعرفة في رفق هذه المدارس بكثير من الكتب في العلوم الاسلامية اما تبرعاً، واما وصية منهم بعد وفاتهم رحمهم الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

٢. كثرة العلماء والشيوخ<sup>(٥)</sup> :

لا يمكن للحركة الثقافية في عصر ما ان تزدهر من غير ان يكون للعلماء اثر بارز في رفق مسيرة هذه الحركة والعمل على انتشارها، فبرزت نخبة جليلة من العلماء في مختلف العلوم العربية الاسلامية طيلة حكم المالك في البلاد المصرية، فقد عملت هذه النخبة من العلماء-فضلا عن انتشار المدارس في البلاد انتشاراً واسعاً- على خلق الاجواء الثقافية والعلمية في طول البلاد وعرضها، نتج عنها ظهور اسماء لامعة في افاق المعرفة من العلماء الذين ضربوا بسهم وافر في اكثر من فن من الفنون العلمية العربية فكان منهم :

١. الحكيم شيخ الطب عز الدين ابراهيم بن محمد بن طرخان الانصاري (ت ٥٦٩هـ).<sup>(٦)</sup>

٢. المسند المحدث فخر الدين علي بن احمد بن عبد الواحد المقدسي بن البخاري (ت ٥٦٩هـ).<sup>(٧)</sup>

٣. الاديب الشاعر عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله القلمساني (ت ٥٦٩هـ).<sup>(٨)</sup>

(١) القريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخط والاثار، ج ٢، ص ٣٦٢.

(٢) الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المالكي في مصر والشام، ص ٣٣٣.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٣٣.

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٣٣.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٣٣.

(٦) الذهبي، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد (ت ٧٤٨ هـ): العبير في خبر من غير، حققه وضبطه ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٩٤٨، ج ٣، ص ٣٧١.

(٧) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٧٣.

(٨) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٧٤.

٤. الاصولي المتكلم نجم الدين احمد بن حمدان بن شبيب الحنبلي (ت ٦٩٥هـ).<sup>(١)</sup>
  ٥. شيخ العربية بهاء الدين محمد بن ابراهيم بن محمد بن النحاس المصري (ت ٦٩٨هـ).<sup>(٢)</sup>
  ٦. الحافظ الكبير شرف الدين عبد المؤمن بن خلف بن ابي الحسن الديماطي (٧٠٥هـ).<sup>(٣)</sup>
  ٧. شيخ القراء تقي الدين محمد بن احمد بن عبد الخالق الصائغ المصري (ت ٧٢٥هـ).<sup>(٤)</sup>
  ٨. المفسر اللغوي اثير الدين ابو حيان محمد بن يوسف الاندلسي (ت ٧٤٥هـ).<sup>(٥)</sup>
  ٩. الفقيه العلامة تقي الدين علي بن عبد الكافي الشبكي الشافعي (ت ٧٥٦هـ).<sup>(٦)</sup>
  ١٠. المؤرخ صلاح الدين خليل بن ابيك الالبكي الصفي (ت ٧٦٤هـ).<sup>(٧)</sup>
- ولم يقف الكثير من هؤلاء العلماء الاعلام والفقهاء الصالحين عند حدود الدرس والتدريس وتربية الامة ووضعهم على المسلك الصحيح الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده، بل شاركوا بانفسهم في الجهاد المقدس ضد الغزاة الطامعين من الصليبيين والمغول فذهبوا الى ميادين القتال، وحملوا السلاح، وجاهدوا جهاد الصابرين، واحرزوا انتصارات عظيمة للمسلمين في هذا العصر الذي عرف بكثرة وقائعه التاريخية ضد الغزاة المعتدين.
٣. المراكز العلمية في البلاد المصرية والشامية: انتشرت المراكز العلمية في البلاد المصرية والشامية في ظل حكم المماليك للعناية التامة التي اولاهها السلاطين للعلم والعلماء ولحرصهم الشديد على نشر العلم والمعرفة في ربوع البلاد. فلم يكن ازدهار الحركة العلمية مقصوراً على القاهرة او دمشق، بل امتدت الى سائر ارجاء مصر والشام. فكانت هناك مراكز علمية في الاسكندرية ودمياط واسيوط<sup>(٨)</sup> وقوص<sup>(٩)</sup> وغيرها. وفي بلاد الشام ازدهرت مراكز علمية ايضا غير دمشق فكانت: حمص، وحلب، وحمصا، والقدس، وبعليك<sup>(١٠)</sup> وغيرها من المراكز العلمية التي تدل على كثرة المدارس في هذه المدن. وتوفر العلماء البارزين في مختلف الفنون الاسلامية.

(١) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٩٢.

(٣) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٣.

(٤) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٧٣.

(٥) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٣٤.

(٦) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٣٥.

(٧) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٦٨.

(٨) الدكتور عبد اللطيف حمزة. الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والملوكي الاول. ص ١٥٦-١٦٨.

(٩) قوص: بالضم ثم السكون. وصاد مهملة، وهي مدينة قبطية كبيرة عظيمة من قبة صعيد مصر شديدة الحر لقربها من البلاد الجنوبية شرق النيل.

ياقوت انحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤١٣.

(٩) السلامي، تقي الدين محمد بن رافع السلامي (ت ٧٧٤هـ-١٣٧٢م)، الوفيات، تحقيق الدكتور صالح مهدي

عباس الطائي، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج ١، ص ١٨-١٩.

#### ٤. ازدهار حركة التأليف :

نشطت حركة التأليف في مختلف الفنون العربية، فكانت المؤلفات النحوية، واللغوية، والفقهية، والتاريخية، والأدبية وغيرها من المؤلفات في تزايد مستمر. وكان لعلماء كل فن من هذه الفنون آثار جلييلة تدل على عظيم فضلهم. وعلو منزلتهم وسعة اطلاعهم على ما ألف في موضوع فنه. وقد نشط في هذا العصر أيضا التأليف الموسوعي حتى عد العصر المملوكي عصر الموسوعات العلمية<sup>(١)</sup>. إن الكتاب الواحد يضم بين دفتيه ما لا يمكن جمعه في عشرات الكتب، فلا يمكن الاستغناء عنها فهي بغية كل طالب، وغاية كل دارس<sup>(٢)</sup>.

(١) الدكتور مصطفى الشكعة. مناهج التأليف عند العلماء العرب. قسم الأدب. بيروت، دار العلم للملايين. ط٤. ١٩٨٢م. ص٧٣١. وما بعدها.  
(٢) المصدر نفسه، ص٧٣١.